تركيا والمنطقة العازلة في سورية

■ حميدي العبدالله

يتخوّف الكثير من المحللين من أن تستغلّ حكومة تركيا الأحداث الجارية على الحدود السورية ـ التركية للقيام بغزو برّي لإقامة منطقة عازلة لإسكان اللاجئين فيها، وربما ضمّها لاحقاً إلى تركيا. ومما زاد من هذه المخاوف التصريحات التي أدلى بها الرئيس التركي إضافةً إلى انتشار الدبابات التركية في مواجهة مدينة عين عرب السورية حيث يحتدم الصراع بين قوات الحماية الكردية وتنظيم «داعش».

فهل تقدم أنقرة على وضع تصريحات الرئيس التركي موضع التطبيق؟

خمسة أسباب تجعل ذلك مستحيلاً، وإذا ما ارتكب أردوغان حماقة على هذا الصعيد فسوف يدفع الثمن غالياً:

السبب الأول، أنّ أيّ تقدّم برّي للقوات التركية سوف يصطدم بمقاومة ضارية من المقاتلين الأكراد الذين ينتشرون على مقاطع واسعة من الحدود السورية – التركية، والجيش التركي الذي لم يستطع التغلّب على مقاتلي حزب العمال الكردستاني داخل تركيا بعد حرب استمرّت أكثر من 35 عاماً، لن يكون قادراً على الاستقرار والسيطرة داخل الأراضي السورية في المناطق ذات الغالبية الكردية.

السبب الثاني، مناطق الحدود السورية الأخرى التي لا توجد فيها أغلبية كردية، تسيطر عليها التنظيمات التكفيرية، تحديداً «داعش» و«النصرة»، وهذه التنظيمات سوف تقاتل الجيش التركي الذي يشكل تهديداً لسيطرتها في حال توغله، وهذا من شأنه أن يلحق خسائر فادحة بالقوات الغازية.

السبب الثالث، الدولة السورية لن تقف مكتوفة الأيدي أمام مثل هذا الغزو، وإذا كانت غالبية الحدود المشتركة لا تتواجد فيها قوات برّية سورية، إلا أنّ لدى الجيش السوري سلاح الجو والقوة الصاروخية، ولن يتردّد في استخدام هذه القوة، وهذا من شأنه أن يحوّل المواجهة في سورية مع تركيا إلى حرب إقليمية، ستكون لها تداعيات كثيرة، وستكون هذه التداعيات أكبر من قدرة حكم حزب العدالة والتنمية على تحمّلها، فضلاً عن أنّ مثل هذه المغامرة تورّط حلف «الناتو» بحرب إقليمية رفض في السابق الانجرار إليها حتى عندما أسقطت الدفاعات الجوية السورية الطائرة التركية التي اخترقت الأجواء السورية في وقت سابق.

السبب الرابع، إنّ كثيراً من الدول العربية، ولا سيما مصر والعراق، سيكون لها موقف حازم لأنّ هذه الدول تخشى السياسة التركية القائمة على التدخل في الشؤون الداخلية، وحتى السعودية لن تدعم مثل هذا التدخل التركي في سياق التنافس بينها وبين تركيا على تزعّم الوضع في المنطقة في إطار الاستراتيجية الغربية.

السبب الخامس، انّ دول كبرى مثل روسيا والصين وإيران لا توافق على مثل هذا الخرق لميثاق الأمم المتحدة، والاعتداء على دولة ذات سيادة من دون تفويض من مجلس الأمن، وطلب من الحكومة السورية.

هذه العوامل مجتمعة تؤكد أنّ أيّ خطوة طائشة ستكون كارثة على حكم حزب العدالة والتنمية، وستكون عواقبها وخيمة.

قطر بين الخاطف والمخطوف

مع وصول الموفد القطري إلى بيروت وتوجهه فوراً إلى عرسال كان المتوقع أن تكون أولى النتائج للوساطة التي تقودها قطر استجابة «جبهة النصرة» لهذه الوساطة وبدء تقديم مطالب والاستماع إلى عروض وخوض جولات مكوكية بين بيروت وعرسال، يقوم بها الموفد القطري، تمهيداً للوصول إلى نتائج أولية، أو أن تبادر «جبهة النصرة» إلى تقديم هدية للموفد القطري لبناء جسور ثقة لحساب الوساطة من جهة أو إثبات فاعلية الوسيط أو تقديم أوراق اعتماد للنوايا الحسنة تجاه المفاوض اللبناني.

النتيجة المفاجئة كانت أنّ الوسيط القطري اختار «داعش» للمباشرة بمهمته، وإذ به يصطحب معه وهو عائد العسكري المخطوف المعاون أول كمال الحجيري.

قطر تمون على «داعش» وليس على النصرة فقط، هذه هي الرسالة التي أراد إيصالها الموفد القطري.

«داعش» لم يعد تنظيماً بلا مرجعية، ولا جهة متمرّدة لا يمكن مفاوضتها، بعدما أفرج «داعش» عن الرهائن الأتراك مقابل النفط المنهوب، مفاوضات تبادل المخطوفين العسكريين تديرها قطر.

السؤال هو هل قطر وسيط ام هي الخاطف أم المخطوف؟

الواضح أنّ قطر منذ تجربتها مع مفاوضات مخطوفي أعزاز وبعدها معلولا تمون على كلّ صنوف المسلحين الذين يقاتلون في سورية والعراق، من أشدّهم علمانية تحت راية برهان غليون إلى أشدّهم تطرفاً بقيادة أبو بكر البغدادي.

قطر هي الإمارة التي يقلّ عدد سكانها عن مئتي ألف نسمة، تمون على «داعش» الذي يقاتل مئات ملايين البشر وعشرات الحكومات والدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية التي اعتبرت الحرب على «داعش» حرب وجود وحرب القرن الواحد والعشرين.

سيرة قطر مع «داعش» كسيرة قطر و«جزيرتها» قبيل «الربيع العربي» وبعده تقاتل الحكومات العربية كلها وتقود الثورات عليها وهي حكومات تتوزع بين تلك الموالية لوشنطن وتلك المعارضة لها.

الحقيقة المنطقية الوحيدة أنّ قطر أقلّ قدراً وقوة من أن تتحمّل وزر التمرّد على المشيئة الأميركية، لا بل أنّ «داعش» نفسها لا تبدو خارج نطاق هذه المشيئة، وأنّ ما تفعله قطر أنها تخطف عبر «داعش» وتفاوض وتتوسّط وتفرج عن المخطوفين، كما تبني الجزيرة وتنفق عليها وتخوض عبرها الثورات والفتن والحروب، لأنّ حاجة المشروع الأميركي في المنطقة تقوم على هذه الفتن وتلك الحروب.

«توب نيوز»

الأمن القومي الإيراني

أخيراً سلّم العالمان الغربي والعربي بأنّ الأمن القومي الإيراني يصل إلى حدود البحر المتوسط، فوصل أمين مجلس الأمن القومي الإيراني إلى بيروت لتسليح الجيش اللبناني.

وعود السعودية وأميركا وفرنسا بالهبات لم تنفذ لأنّ «إسرائيل» هي مَن يقرّر ماذا يتسلّم الجيش اللبناني من سلاح غربي.

إيران تكرّر استعداداتها لتسليح غير مشروط فتلقى آذاناً صاغية أخيراً.

الأذن اللبنانية تشتغل على روموت كونترول في الرياض وواشنطن.

لولا الرضا الغربي والعربي لما تجرّأت الحكومة اللبنانية على القبول.

مواجهة «داعش» في لبنان ضرورة أمنية للغرب والعرب، والجيش أداة المواجهة والمطلوب لتسليح الجيش عدم إثارة المقاومة فالحلّ أن تتولاه إيران.

الغرب والعرب ليسوا جاهزين للتصالح مع سورية علناً، فليتمّ ذلك عبر العراق ولبنان.

تسليح الجيش من قبل إيران يعني تدريباً وتعاوناً

يعرف العرب والغرب أنّ مواجهة «داعش» في لبنان تعني تخفيف الأعباء عن حزب الله الذي يقاتل في سورية ليتفرّغ للقتال هناك وليس ليسحب قواته.

يعني تسارع تنظيف المناطق الحساسة في المدن السورية الكبرى وريفها وتكريساً لمرجعية الأسد.

التعليق السياسي

سورية... الجرح النازف والاقتصاد الضحية الاكبر!

■ محمد ح. الحاج

ثلاثون شهراً واللعبة الدموية تستمرّ، قتل، هدم، تخريب، تحريض، تمويل خارجي، والمزيد ينخرط في اللعبة من كلّ الجنسيات، الحرب متعددة الجنسيات أشبه بلعبة لا يتصور أحد نتائجها سوى العدو الذي وضع المخطط، إجماع رأي على أنها مرفوضة، وأن أحداً لن يخرج رابحاً، حتى الذين يوقدون نارها، والمشاركون الأدوات، لكن الكلّ عاجز عن التوقف لأنّ القرار ليس هنا.

الفريق الأكبر المشارك في تدمير البلد نال أخيراً لقب إرهابي، وصدر قرار مجلس الأمن الدولي بمحاربته، أما الجهة االتي تكفلت التنفيذ (التحالف) فهي جهة المنشأ والمصدر، الأب الروحي لأغلب هذه التنظيمات، أما لماذا، وكيف؟ فالجواب في عالم الغيب وبحاجة إلى قراءة ما بين السطور ونتائج الفعل على أرض الواقع.

الشكوك التي أحاطت بجدية التحالف في محاربة تنظيمات «داعش» و«النصرة» وتوابعها، لا ينقصها أدلة أو إثباتات، فالنوايا والتلميحات أكثر من كافية، كذلك مواقف بعض دول التحالف ومنها قطر وتركيا التي ماطلت كثيراً في إعلان موقفها والتزامها القرار الدولي حتى قبل يومين، ويقرأ كثير من المحللين في هذا الإعلان مجرّد التحاق بالركب على مرأى ومسمع العالم الذي يراقب وينتظر، يتابع ويحلّل ويخلص إلى نتيجة وحيدة هي التشكيك بجدية الحرب رغم هجمات الطيران المتعدّد الجنسيات على مواقع ضمن الأراضي السورية يعتبرها مراكز لتنظيم «داعش»، البعض يهلل، والبعض يردّد: أن تصل متأخراً خير من أن لا تأت أبداً! لكن أغلبية المراقبين والمحللين، يطرحون السؤال الأهمّ: هل تتناسب خسائر التنظيمات الإرهابية مع حجم التدمير الذي يلحق بالبنية التحتية السورية، واستطراداً: هل يتمّ إبلاغ قيادات «داعش» بلائحة الأهداف وتوقيت مهاجمتها، وعن أي طريق؟ ليتمّ الإخلاء والانتشار وجعل الخسائر في حدّها الأدنى، بشرياً وآلياً وتصبح العمليات الجوية مجرّد تدريبات ضمن حقل لا خطورة فيه، الأهداف ثابتة، ولكن، ما حجم الخسائر السورية في البنية التحتية؟

هل يكفي اعتذار أوباما عن سوء تقدير إدارته لحجم خطورة التنظيمات الإرهابية في سورية، وهل نصدق أنّ الاستخبارات المركزية لم تتابع قيادات وعناصر «القاعدة» الذين خرجوا من العراق وتسللوا إلى سورية؟ والحقيقة غير ذلك، فالمتوقع أنه تمّ توجيه القيادات للتجمع في تركيا تمهيداً لتنفيذ مخطط هدم الدولة السورية الذي بدأ تنفيذه منذ ثلاثين شهراً، منْ يصدق أنّ أميركا كانت غافلة عن تحرك تنظيمات بهذا الحجم؟ الأرجح أنها كانت ضالعة في العملية وهي من وضع المخطط وقام بالتدريب والإمداد اللوجستي وفرضت على دول عربية عمليات التمويل والتغطية الإعلامية... التنظيمات جاءت من خارج الأراضي السورية بعد فتح الحدود من الدول المجاورة، دخلوا جماعات وليس أفراداً، لكن المخططات تتبدّل ـ ويتمّ الانتقال مرحلة مرحلة، من الألف إلى الياء، ولأنّ المخطط لم يكتمل، كان لا بدّ من الاستدارة للبقاء على رأس العملية، من التبني، إلى التوصيف، ثم الانتقال إلى إعلان حرب وهمية... مسرحية متكاملة الفصول.

من غير المعقول أن تجتاح «داعش» مناطق واسعة من الأراضي العراقية في غفلة من العين الأميركية، وأن تضع يدها على عتاد فرقتين عراقيتين، وأن يتم نقل وتوجيه أغلب هذا العتاد إلى سورية، أن تعبر أرتال الآليات وبضمنها دبابات محمولة مسافات طويلة ضمن أراض مكشوفة بعيداً عن رقابة الأقمار العسكرية، وحتى المدنية هو ادّعاء غير واقعي، ولأنّ المخطط يقتضي وصولها إلى محيط الأماكن الموضوعة على لوائح بنك الأهداف لغاية في نفس يعقوب، كان على العين الأميركية أن تغمض.

الخراب والدمار اللذان لحقا بسورية، ليس كافياً على ما يبدو، وما لم تحققه العصابات بأدواتها، يمكن أن يتحقق تحت شعار محاربة هذه العصابات، وهكذا أخذت العملية منحى أقرب إلى الهزلية، إذ تحت هذا الشعار يمكن تدمير الكثير ما يسرع عملية الانهيار الاقتصادي واستكمال تدمير البنية التحتية من دون تصفية التنظيمات تماماً، وإنما إضعافها كما أعلن أوباما، وبما لا يسمح للرئيس بشار الأسد أن يزداد قوة، بل استمرار محاولة تقويض حكمه عن طريق استبدال «داعش» (دولة الإسلام في العراق والشام) بـ«دافش» (دولة الإسلام في الشام) ولكن بمسمّى «المعارضة المعتدلة»!

طائرات التحالف دمّرت اثني عشر مجمعاً نفطياً – وكلّ منها مركز تجميع حقل من الآبار وليس بينها مصاف نفطية إلا أن يكون المقصود بعض المنشآت البدائية التي أقامتها التنظيمات، ولأنّ هذه التنظيمات كانت على علم مسبق بموعد الضربة فقد أخلت الأهداف وانتشرت بعيداً بكامل عتادها، لم تلحق بها خسائر تذكر بينما تم تدمير البنية الأساسية لكلّ من الحقول المستهدفة، والأمر نفسه حصل في مطار الطبقة! لا خسائر تذكر بينما لحق الدمار ببنية المطار بشكل كامل، حتى الآليات الثقيلة لـ«داعش»، التي ابتعدت عن المطار لم يلحق بها الضرر، كما أنّ القيادات في قلب الرقة لم يصب أحد منها وكانت تتمركز في مبنى المحافظة – المبنى الأضخم والأجمل بين مباني المحافظات السورية، وينطبق الأمر نفسه على أغلب الأهداف التي تمّ تدميرها في محافظات أخرى – حلب وإدلب... كيف حصل ذلك، وهل كان هناك ضابط ارتباط بين عمليات التحالف وبين قيادة «داعش»؟ على الأرجح: نعم، فما هو دور المخابرات التركية ضمن التحالف، وهل المنطقة العازلة المقترحة على الحدود الشمالية ستكون تحت الحماية التركية، أي، «داعش» بالوكالة، الأرجح ستكون نقطة انطلاق الجولة الثانية من المعركة مع الدولة السورية بعد إعلان التحالف وقف هجماته بعد حين وأنه أضعف «داعش» وأبعده عن العراق وما عاد يهدّد العالم (مصالح أميركا)؟

أمريكا القادرة على اللعب على حبال السيرك الدولي، كأقوى فرقة بهلوانية روسية أو صينية، لم تكن بحاجة إلى هذه المسرحية لتدمير ومكافحة إرهاب «داعش» أو غيره، كان يكفي إغلاق المعابر وقطع التمويل فعلاً وتجفيف مصادره، وضرب الأرتال المكشوفة ومحاصرة الوحدات المتسترة خلف الدروع المدنية دون تدمير البنى التحتية والمراكز الكبرى وخاصة الاقتصادية منها، وتترك الأمر للجيش السوري، والمواطنين الشرفاء لاستكمال معالجة هذا الورم السرطاني المرفوض والذي حقنته الاستخبارات المتعددة بكلّ أنواع الأمصال المقوية.

يبدو أنّ الازدواجية موجودة داخل الإدارة الأميركية، بل داخل التحالف، هناك من يعلن الحرب على الإرهاب بقوة، وفي المقابل هناك أيضاً من يستمر في المراهنة عليه، تشجيعه وتسهيل حركته، بما في ذلك العمليات الاستخبارية، (عملية توزيع الأدوار) لتحقيق المخطط الأساس، مع قبول الالتفاف وتعديل المسار قليلاً، طبقاً للظروف الدولية وبما لا يغيّر الوجهة النهائية... تدمير الدولة السورية في أسوأ عملية انتقامية من شعب يرفض الخضوع والانصياع لرغبات حكومة الظلّ الماسو – صهيونية التي تحكم العالم حتى اللحظة.

التقرير الأسبوعي لمراكز الأبحاث الأميركية

أوباما أمام فشل مزدوج لسياسات «محور الشر» و«شبكة الرعب»

واصلت مراكز الابحاث الأميركية اهتماماتها بسياسة الرئيس باراك أوباما المعلنة، ولم تبخل عليه في توجيه سيل من الانتقادات لاعتقادها انّ الغارات الجوية أتت في وقت متأخر، وينبغي تعزيزها بمزيد من الإجراءات العسكرية الرادعة بغية إلحاق الهزيمة بالدولة الاسلامية.

سيستعرض قسم التحليل أوجه القصور في «استراتيجية اوباما،» والإجراءات التي لجأ اليها، وإبراز ثبات حالة التدني في نسب التأييد الشعبي لسياساته. كما سيطرح على بساط البحث تباين الأولويات في قواعد الحزب الديمقراطي مقارنة مع الرئيس وقادة الحزب: الجمهور الانتخابي يعتبر التغيّرات المناخية محور اولوياته، والحزب يعتبر الأولوية في شنّ الحروب أهمّ مقاصده ليتقاطع فيها مع نبض قواعد الحزب الجمهوري ونسبة معتبرة من الناخبين «المستقلين.» فأيهما سيحظى باهتمام الرئيس اوباما قبل جولة الانتخابات المقبلة.

استراتيجية أوباما

اعتبر مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية انّ نجاح الاستراتيجية الأميركية لمحاربة «داعش» لا ينطوي عليه استمار جهد معتبر في نشر قوات برية... اذ ان الجيش العراقي اثبت ان باستطاعته خوض القتال؛ ولديه وحدات قتالية مؤهلة، وكل ما يحتاجه هو تدعيمه بقوات خاصة ووحدات المغاوير...» وحث صناع القرار على توفير الاسلحة والعتاد الضروري لمهام تلك الوحدات بحيث تمكّنها من «الدفاع الذاتي عن نفسها، ورفع جهوزيتها لتكبّد الخسائر وتوفير وسائل الاغاثة الطبية.»

استعادت مؤسسة هاريتاج الجدل حول التفويض التشريعي للسلطة التنفيذية بشن حرب ضد «داعش»، موضحة ان «توفر التفويض باستخدام القوات العسكرية لا يغني عن بلورة استراتيجية شاملة تضع نصب أعينها مواجهة وإلحاق الهزيمة بعدو» مهما كانت تصنيفاته.

وذكّرت المشرّعين بمهام الرئيس كقائد اعلى للقوات المسلحة الذي يتحمّل مسؤولية «تقييم حجم التهديدات التي تحيق بالأمن القومي، وعند التيقن منها، ينبغي عليه توضيح الأمر للشعب الاميركي والكونغرس... فالرئيس هو المخوّل بتصدّر موقع القيادة وبلورة استراتيجية شاملة ورشيدة لمواجهة وإلحاق الهزيمة بالعدو.»

اعتبر معهد كارنيغي ان احد الشروط لمواجهة داعش يكمن في «تحقيق هدنة بين الرئيس الأسد وبعض قوى المعارضة السورية... مما يصب في صلب توجه الإدارة الأميركية لتقويض وتدمير الدولة الاسلامية،» مع الاقرار بأن «الهدنة افضل من لا شيء، واقل من التوصل الى استراتيجية.» واعتبر ان احد اوجه القصور في سياسة الرئيس اوباما انه «يرّحل الأمر الى مرحلة لاحقة... مما قد يحدّ بشدة من تداعيات الحملة ضدّ الدولة الاسلامية والسماح لقواتها بإعادة تنظيم صفوفها والانطلاق مجدّدا.»

استضاف معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى حلقة دراسية للبحث في الخيارات المطروحة لإلحاق الهزيمة بالدولة الاسلامية. وطالب أحد المشاركين، جيمس جيفري، الإدارة الاميركية «القاء مزيد من الضوء لتوضيح ما تعنيه من هدف «الحط من قدرة وتدمير» الدولة الاسلامية.» واضاف انّ «التدمير» ينطوي عليه القضاء التام على المجموعة «للدلالة على مدى التزام اميركا وطمأنة الحلفاء بتعهداتها للأمن الاقليمي.» واستدرك بالقول ان تحقيق ذلك «يكاد يكون من المستحيل نظراً إلى انتشار ايديولجية داعش عبر الاوطان... الذي يستغل ضعف بنية الدول الاقليمية لتحقيق مآربه.»

انفرد معهد بروكينغز من بين أقرانه للنظر الى «نصف الكوب الملآن» في استراتيجية الرئيس اوباما، معتبراً أنها حققت «عدداً من التطورات الهامة... فقد فرضت تنحّي رئيس الوزراء نوري المالكي وأتت بحكومة تتمتع بتمثيل اوسع ملتزمة بهدفي محاربة الدولة الاسلامية، من ناحية، والتكيّف واستيعاب مطالب الطائفة السنية...» هذا بالاضافة الى جهوزية عدد من القوى الاقليمية واستعداد آخرين للانضمام إلى الحملة التي تقودها الولايات المتحدة... تشكل بمجملها الخطوات الاولى في الاتجاه الصحيح.» وحث صناع القرار والقوى الاميركية المختلفة على «بدء الاستعداد لبناء الدولة، خاصة في سورية.»

عاود معهد الدراسات الحربية العزف على المسألة الطائفية معتبراً انّ «محور التحديات التي تواجه الولايات المتحدة في العراق وسورية هي توفير الامكانيات للطائفة السنية امتداداً من بغداد ودمشق الى تركيا والأردن لالحاق الهزيمة بتوابع ومشتقات تنظيم القاعدة... التي تنشط في المناطق ذات الاغلبية السنية.» وشدّد المعهد على ضرورة بذل الجهود «لإشراكها في جهود التوصل لحلول أمنية فضلاً عن ضرورته لحرمان القاعدة من البيئة الحاضنة لعودتها... لا سيما ان السوريين منهم قد بدأوا يفقدون الثقة في ما ستؤدي اليه مرحلة ما بعد انتهاء الحرب.»

ايران

اعرب معهد المشروع الاميركي عن اعتقاده ان الرئيس الايراني حسن روحاني «حافظ على ثبات موقعه في وسط الطيف السياسي». وفي ما يخص العلاقات المقبلة بين ايران والولايات المتحدة قال المعهد انه «بصرف النظر عن وجهة الحلول التي ستنبثق عن المحادثات الراهنة... فانّ علاقة روحاني بخامنئي ستبقى وثيقة على الأرجح، خاصة في ادارته للإصلاحات الاقتصادية الهامة، بصرف النظر عن رفع العقوبات من عدمها.» وذكّر المعهد صنّاع القرار في واشنطن والدول الغربية انه في محصلة الأمر فإنّ الرئيس روحاني هو نتاج «الجمهورية الاسلامية وسيعمل على المحافظة عليها بدلاً من إطلاق العنان للتوقعات بإقدامه على احداث التغيير من الداخل.»

افغانستان

تغيّرات السلطة السياسية في أفغانستان كانت من ضمن اهتمامات مركز ويلسون الذي حذر من «تمدّد الانقسام الراهن، اذ انّ ايّ تصدّع مهما كانت درجته من شأنه ان يحكم بالهلاك على حكومة الوحدة وتقصير اجلها،» حاثاً القادة الأفغانيين الجدد تفادي الانزلاق الى تلك المرحلة.

في البدء، ينبغي التذكير بسجل الرئيس اوباما الذي يعوّل عليه كإرث سياسي يصرفه لاحقاً لدى اخطبوط «مجمع الحرب على الارهاب الصناعي العسكري والمالي والاعلامي،» الذي يضمّ أهمّ واقوى اللاعبين السياسيين والاقتصاديين في اميركا، والمسيّر الحقيقي للسياسات الأميركية العدوانية.

في ظلّ خمس سنوات قصيرة من عمر رئاسة باراك اوباما، أصدر أوامره للهجوم والإغارة على سبع دول مستقلة (العراق وافغانستان وباكستان والصومال واليمن وليبيا وسورية)، وشن اكثر من 390 غارة بطائرات الدرونز في اليمن وباكستان والصومال (اذ ما استثنينا مالي وجيبوتي في القارة الأفريقية)، ونالت «بركاته» العسكرية الحديقة الخلفية لأميركا في بنما وهايتي وغرينادا.

تم تطبيق تلك السياسة العدوانية تحت غطاء واهم بأنّ باراك اوباما فاز بمنصبه لنيته الإقلاع والتمايز عن سلفه جورج بوش الابن، كما مهّدت له الآلة الاعلامية الضخمة في البدء، واستمر في تطبيق ذات السياسة في الهيمنة الكونية مغلفة «بصانع السلام» والإقلاع عن تصنيفات «محور الشر» بالغة التسطيح. جدير بالذكر ايضا انّ الولايات المتحدة ومنذ عام 1980 لجأت إلى التدخل العسكري «37 مرة في 27 دولة.»

للدلالة أيضاً على النزعات العدوانية المتأصلة في «الفكر السياسي» الاميركي، مهرت مجلة «الايكونوميست» الرصينة عنوان غلافها الأخير بعبارة تهكمية «المهمة استؤنفت،» معيدة الى الأذهان عبارة جورج بوش الابن، ايار 2003، بان «المهمة انتهت» عقب غزو العراق واحتلاله.

بناء على ما تقدم، يمكننا القول انّ آفاق المرحلة المقبلة تنذر بمزيد من «نعَم» الفوضى والدمار المرافقين للتدخل العسكري الاميركي المباشر؛ بل ان احتلال العراق شكل منصة انطلاق للسياسة «الجديدة» للولايات المتحدة في سورية، بشكل خاص، وبسط هيمنتها على مناطق متعددة اخرى في العالم بدءاً من اوكرانيا في اوروبا، وتجسيدها في آسيا لضعضعة بروز الصين ومحاصرة روسيا.

ومن ثم فالغارات الجوية الاميركية على سورية تدلّ على اتضاح الهدف الابعد للاستراتيجية الاميركية في اعادة رسم خريطة المنطقة خدمة لأهدافها ومصالحها التي عادة تأتي على نقيض مصالح العرب والشعوب الأخرى، بل من النادر ان يحدث تلاق او تطابق بينهما. فالاستراتيجية الاميركية، كما تراها بعض النخب السياسية، اضحت تتغذى بهاجس «انتاج عدو جديد،» في كل مرحلة مفصلية، يعسّر اي نزعة مقبلة لأي رئيس قادم التغاضي عنها او القفز عليها، او ثمة التفكير بوضع نهاية «للحرب على الارهاب» او مصطلح اوباما «شبكة الرعب؛» وتجسيدا كذلك لنبوءة الأديب الاميركي يوجين اونيل بأن «الماضي يعيد إنتاج نفسه مرة تلو اخرى.»

فالسياسات الاميركية المرسومة، سواء المعلن منها والمضمر، بدءاً بمحور الشر ومروراً بشبكة الرعب والموت بطبعتها الاوبامية، تكتسب «زخماً وتفقد قابلية لتطويعها على مرّ الزمن.» عنوان حملة اوباما العدوانية استوجبت ابتداع خطاب وشعار جديد «استهداف شبكة الرعب لداعش،» لتمويه مآربها، وتوضح بجلاء بأن الولايات المتحدة الرسمية ما فتئت تسعى ولم تدخر جهداً لزعزعة استقرار سورية «ودعم قوى المعارضة المسلحة» التي أنتجت «داعش» وتوابعها ومشتقاتها.

محصلة الغارات الجوية الاميركية على شريط من الارض السورية أسفر عن نتائج متواضعة، من وجهة النظر الاميركية. اذ عنونت صحيفة «نيويورك تايمز» النافذة صفحتها الاولى «في العراق... فشلت الغارات بزحزحة داعش»، بالرغم من توارد انباء عن مصرع بعض العناصر القيادية لديه، ابو يوسف التركي ومحسن الفضل.

على الطرف المقابل في معسكر دعاة الحرب، لم تشف الغارات وحجم الدمار الغليل واعتبرت «وخزة دبوس» تضايق وتزعج لا اكثر، وتجدّدت النداءات السابقة بضرورة انخراط اميركي اوسع طمعاً لإسقاط الدولة السورية واعادة تكوينها وفق ما يلبّي مصالحه من مخططات وقوى وادوات تهديد واضطراب.

في هذا الصدد، لا ينبغي القفز على البعد الداخلي الاميركي كأحد العوامل في اعتبارات الرئيس اوباما، والذي رمى لتعزيز ووقف انهيار نسبة شعبيته بعد سلسلة اخفاقات اصابت حلفاءه؛ بيد ان نزعته العدوانية لم تؤت أكلها، واستمرت وتيرة التدهور من دون كوابح، ولم تفلح جهوده والآلة الإعلامية الأميركية الضخمة بتسليط الضوء على سلسلة من الإهداف: داعش، جبهة النصرة، ومجموعة خراسان التي لم يسمع بها تقريباً في الاعلام الاميركي من قبل، وبرزت بالتزامن مع بدء الغارات العسكرية. واعتبر بعض الخبراء العسكريين ان تعدّد الاطراف المستهدفة ينمّ عن فشل السياسة الاميركية وعملياتها «السرية» في سورية.

ابتدعت واشنطن صيغة تحالف ينضوي تحت لوائها وقرارها من الدول العربية، لا سيما الخليجية والأردن، والاقليمية (رغم تردّد تركيا في البداية)، والدولية تحقق جملة أهداف مرة واحدة: أولها إبراز حجم الدعم الذي تحظى به السياسة الأميركية، ولو شكلاً، وتوزيع الكلفة المادية والبشرية على مجموعة اطراف – العربية والأوروبية التقليدية. بعض الخبراء العسكريين الأميركيين أبرز مواطن الضعف في «استراتيجية اوباما،» على المستوى العملياتي، ويتهمه بارتكاب «خطيئة عسكرية كلاسيكية» لدخول اتون المعركة بقوات برية محدودة مقابل طرف معاد يتفوق عليها عددياً، مما يشير الى مواجهة طويلة الأمد تحصد نتائج محدودة وهزيلة مقارنة مع الغرض الأبعد بتحقيق نصر حاسم سريع.

ويشير هؤلاء أيضاً الى المرونة التي يتمتع بها «داعش» وقدرته على نشر بعض خلاياه العاملة بعيداً عن ساحة المواجهة الرئيسية وشنّ عمليات ضدّ الدول المشاركة في تحالف واشنطن وربما داخل اراضيها. بل سعت على الفور إلى ترجمة ذلك التخوّف، إذ لم تمض بضع ساعات على إلقاء الرئيس أوباما خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة قبل ورود أنباء تفيد عن مصرع رهينة فرنسية كانت محتجزة لدى جماعات مسلحة في الجزائر تدين بالولاء للدولة الاسلامية، بجزّ عنقها، الوسيلة المفضّلة لتلك المجموعات. الملفت أيضاً انّ مجموعة «جند الخلافة» تلك أصدرت بياناً تحذيرياً تهدّد بقتل الرهينة ان لم تتوقف فرنسا عن مشاركتها في قصف مواقع الدولة الاسلامية في العراق.

قرار وحجم المشاركة تقرّر الولايات المتحدة وليس الدول المنضوية تحت لوائها. بعد اعتلاء الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند منصة الجمعية العامة للامم المتحدة اكد انّ بلاده ماضية قدماً في المشاركة بالغارات الجوية فوق الاراضي العراقية، على الرغم من مقتل الرهينة الفرنسية في الجزائر.

الاعيب ام سياسة خارجية لاميركا؟

خطاب الرئيس اوباما امام الجمعية العامة للامم المتحدة انطوى على بضع رسائل موجهة إلى الداخل الاميركي، وإلى العالم اجمع، ولم يشأ ان يبقي خارج الاهتمام العالمي هذه المرة من مخاطر الانبعاث الحراري، لا سيما انّ إحدى اكبر التظاهرات شهدتها مدينة نيويورك خلال انعقاد الدورة، شارك فيها ما لا يقلّ عن 400،000 متظاهر. وزعم أمام الهيئة الدولية انّ بلاده «تسعى الى تحقيق تخفيضات طموحة في انبعاثات غاز الكربون، وانها زادت من حجم استثماراتها في مجال الطاقة المتجددة... بيد ان نجاحنا (اميركا) في تخفيض الانبعاث الحراري مرهون بمشاركة كل القوى الرئيسة...»

توقيت الغارات الجوية الاميركية ضدّ «داعش» بالتزامن مع انعقاد الجمعية العامة للامم المتحدة وتنامي اهتمام شعوب العالم بضرورة تقليص الدول الصناعية حجم الغازات الضارة التي تنتجها يثير أهمية البعد الداخلي في خطابه، لا سيما وعينه على الانتخابات النصفية المقبلة. أشار أحد أهمّ مراكز استطلاع الرأي، بيو، في شهر آب الماضي الى تباين آراء القواعد الداعمة للرئيس اوباما في تحديد الأولويات السياسية، لا سيما تقييم حجم وجدية الخطر الارهابي، مقارنة برؤية الشريحة الانتخابية من المستقلين التي يعوّل عليها عادة في ترجيح كفة الفائز بالانتخابات.

وأشارت نتائج استطلاع معهد بيو الى وعي اغلبية معتبرة من الناخبين الديمقراطيين بأولوية التهديد الصادر عن التحوّل المناخي، بنسبة 65%، فاقت التهديد «المزعوم» من الدولة الاسلامية. بالمقابل، اعتبرت الاغلبية العظمى، 80%، من الناخبين الجمهوريين ان القاعدة ومشتقاتها تمثل التهديد الاساسي للولايات المتحدة، مقابل شريحة بنسبة 25% عبرت عن قلقها من التغيّر المناخي. اما شريحة «المستقلين» فقد عبّرت غالبيتها عن اولوية تهديد القاعدة وتوابعها، 69%، مقابل 44% ابدت اهتمامها بالتغيّرات المناخية.

لعلّ اللغز الكامن في تلك الهوة الشاسعة في الآراء يفسّر تراجع شعبية الرئيس اوباما، بل ثبات نسبة التراجع. وسجل اليوم التالي لخطاب اوباما في نيويورك، 11 أيلول، دعم نسبة ضئيلة من المواطنين، 36%، لسياسة الرئيس اوباما الطموحة. وخلال بضعة ايام قلائل انحدرت نسبة التاييد الى 31%.

الجزء الاكبر من إقلاع الجمهور عن دعم اوباما كان مصدره قاعدته من الناخبين الديمقراطيين. ففي الحادي عشر من ايلول الفائت بلغت نسبة تأييده بينهم 67%، وانحدرت الى 59% بعد بضعة ايام؛ وتجدر الإشارة الى تراجع نسبة مؤيديه بين السود الاميركيين، قاعدته المفضلة، 5 نقاط مئوية، من 73% الى 68% في ذات الفترة الزمنية.

لا ينبغي التغاضي عن أهمية تلك النسب الثابت الوحيد في مؤشراتها هو التداعي المستمر للرئيس أوباما خاصة عند استخلاص النتائج لمسيرته المتعثرة في «محاربة الارهاب» و«تقليص وتدمير داعش.» وليس لجوؤه إلى الخيار العسكري في هذا الظرف الدقيق من ولايته الرئاسية الا لتعديل ميل موازين القوى لصالح ممثلي الحزب الديمقراطي في الانتخابات المقبلة، طمعاً في إبقاء سيطرة مجلس الشيوخ بقبضة الديمقراطيين. وكما اشارت نتائج الاستطلاعات الحديثة فإنّ الجزء الأكبر من قاعدته الانتخابية لا تكترث «للحرب على الارهاب» ومشتقاتها، وتعتبر التغيّرات المناخية والانبعاث الحراري محور اولوياتها.

رسالة الحرب والعدوان التي ارساها اوباما حظيت بدعم «مدروس» من قبل خصومه الجمهوريين الذين سيواصلون انتقاداتهم في الجولة الانتخابية المقبلة. ويدرك الرئيس اوباما انه لن يستطيع التماثل التام مع خصومه خشية نفور قاعدته الانتخابية من الديمقراطيين، وكذلك لا يرغب في التقرّب اكثر مما هو عليه الحال الراهن من اولويات تلك القاعدة. فالتوفيق بينهما تعوزه الحماسة ولن يحصد سوى مزيد من التردد والتأرجح وربما تصدع وفشل سياسته الخارجية برمتها.